

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة النجاح الوطنية



بحث بعنوان:

السمات المنشودة في طلبة كليات الشريعة

إعداد: سمير محمد عواودة

مؤتمر

"التعليم الشرعي وسبل تطويره"

2017م-1438هـ

الحمد لله رب العالمين، نحمده أن أحلَّ لعباده المؤمنين الطيبات بأنواعها، وحرّم عليهم الخبائث بكل صورها، ونحمده أن شرع للمؤمنين من الدين ما يُبعدهم عن كل ما يلحق الضرر بنفوسهم وعقولهم ومجتمعاتهم، وله الحمد دائماً أن فتح باب التوبة لعباده الذين أسرفوا على أنفسهم، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين وحجة على الخلق أجمعين وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد :

فإن الشواهد من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، على فضل العلم الشرعي، وجلالة قدره، وعظيم منزلته، وكثيرة العدد، غزيرة الفوائد والآثار، لأنه الوسيلة إلى الدار الآخرة وسعادتها، والذريعة إلى القرب من الله تعالى ورضوانه، تتعب في نيله الأجساد، ويتقارق الأحبة لنيله، ويحرم طالبه لذة النوم، حيث يورث صاحبه العزة والوقار، ويحصل الشرف والافتخار، وينال عند الناس التقدير والاحترام، كيف لا وقد قال تعالى ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (1)، وقال تعالى ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (2)، وفي الحديث الشريف أنه ﷺ قال (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين) (3)، وقال (العلماء ورثة الأنبياء) (4)، وإذا كان العلم لا ينال إلا بالسعي والطلب، والجِدِّ والاجتهاد، فقد حث القرآن الكريم على طلب العلم، ووعد طالبه بالعبادة، بل جعل السعي إليه، يعدل الخروج إلى الجهاد، قال تعالى ﴿ فلولاً نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ﴾ (5)، وقال عليه الصلاة والسلام (من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة) (6)، وقد أثنى القرآن على معلمي الناس الخير، وأمرهم أن لا يكتموا منه شيئاً، فقال تعالى ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (7).

وقديماً كانت حلقات العلم هي التي تتولى تدريس العلم الشرعي، واليوم صارت المدارس الشرعية وكلليات الشريعة هي التي تنهض بأعبائه، وإذا كانت حلقات العلم قديماً قد تخرّج فيها خيرة العلماء، فإن خريجي كليات الشريعة يعانون اليوم بوجه عام من عزوف في بعض الأحيان عن ممارسة دورهم كأئمة وأساتذة وواعظين، بالإضافة لضعف الإمكانيات المادية التي تجعل هذه المؤسسات تأخذ دورهم المأمول، ولما كانت الأنظار تتجه اليوم نحو الرقي بهذه المؤسسات التعليمية فقد حاولت أن أبرز السمات المنشودة لدى طلبة وخريجي كليات الشريعة الإسلامية، وسميت هذا البحث بـ

السمات المنشودة في طلبة كليات الشريعة

أسباب اختيار الموضوع:

1. إثراء المكتبة العلمية بهذا الموضوع.

(1) سورة آل عمران، آية 18

(2) سورة الزمر، آية 9.

(3) البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، تحقيق مصطفى ديب البغا، ط3، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، ج1، ص89، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت. مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة،

ج3، ص94، دار الجيل بيروت و دار الأفق الجديدة . بيروت

(4) الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر وحكم عليه بأنه صحيح، ج 5، ص48، برقم 1682، دار

إحياء التراث العربي، بيروت، أبو داود، سنن أبي داود، ج 3، ص354، برقم 3643، وحكم عليه الألباني بأنه صحيح، دار الكتاب، بيروت

(5) سورة التوبة، آية رقم 122.

(6) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب الاجتماع على تلاوة القرآن، ج 8، ص71، برقم 7028.

(7) سورة فصلت، آية 33.

2. بيان السمات التي يأمل الناس معاينتها في طلبه كليات الشريعة.

منهجية البحث: اتبع الباحث المنهج الوصفي الذي يتناسب مع هذا العنوان.

الدراسات السابقة: لم أعتز - بعد عناء البحث- من أفرد هذا الموضوع بالبحث، وجُل ما وجدته مقالات متناثرة على صفحات الشبكة العنكبوتية.

الخطة التفصيلية: اقتضت طبيعة البحث أن تكون خطته التفصيلية على النحو الآتي:

المبحث الأول: السمات الإيمانية لطلبة كليات الشريعة، ويشمل المطالب الآتية:

المطلب الأول: إخلاص النية لله تعالى.

المطلب الثاني: الافتقار إلى الله تعالى.

المطلب الثالث: طهارة النفس من رذائل الأخلاق.

المبحث الثاني: السمات الشخصية لطلبة العلم الشرعي، ويشمل المطالب الآتية:

المطلب الأول: التواضع.

المطلب الثاني: كثرة المطالعة وتنوع مصادر التلقّي.

المطلب الثالث: الصبر على العلم.

المطلب الرابع: حضور المجالس العلمية.

المطلب الخامس: مواكبة العلوم المستجدة المرتبطة بالعلوم الشرعية.

المبحث الثالث: السمات الاجتماعية لطلبة العلم الشرعي، ويشمل المطالب الآتية:

المطلب الأول: التزام الأدب التام مع الشيوخ والعلماء.

المطلب الثاني: التعاون مع الزملاء والأقران.

المطلب الثالث: اختيار الصداقة الطيبة.

الخاتمة: وتشمل النتائج والتوصيات.

المطلب الأول: إخلاص النية لله تعالى.

تُعتبر النية الخالصة لله تعالى هي الأسس في قبول كل الأعمال والأقوال، لكون الله تعالى هو الحسيب الرقيب المطّلع على السرائر والظواهر، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وكثير من أعمال الدنيا تصير بخُسن النية من أعمال الآخرة، والعكس صحيح، حيث أعمال الآخرة بفساد النية تكون من أعمال الدنيا التي لا توضع في ميزان المرء يوم القيامة، وكم من عمل صغير في ميزان البشر يصير في ميزان الله كبيراً وعظيماً بصدق النية وخُسنها، وكم من عمل حقير بسيط يكون كبيراً وعظيماً في ميزان الله تعالى، فالإخلاص يتمثل في انبعاث القلب إلى الجهة المطلوبة، وهو سرّ بين العبد وربّه لا يعلمه غير الله تعالى، وفي ذلك روى الغمام البخاري في صحيحه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه" (1).

والنية لغة تعني القصد أو الوجه الذي تتويبه (2)، وقيل إنها الإرادة (3).

أما في اصطلاح الفقهاء فقد تعدد عباراتهم في بيان المقصود بالنية، فذكر الحنفية على أنها: "قصد الطاعة والتقرب إلى الله تعالى في إيجاد الفعل" (4) وعرفها الحنابلة بالقول "عزم القلب على فعل العبادة تقرباً إلى الله تعالى" (5)، ويميل الباحث إلى تعريف الحنابلة كونهم أشاروا إلى ذكر قيد التقرب إلى الله تعالى بالامتثال، وبذلك أخرجوا العادة من التعريف، والنية يُحتاج إليها في العبادات، أما المباحات فليس محل الثواب والعقاب، ومن المعاصرين من اعتبر الإخلاص في طلب العلم تصفية السر والقول والعمل من إرادة غير الله، ويكون في القلب والقول والعمل والحال (6).

فالعلم عبادة، والعبادات قريبة من القربات، فإن كانت نية طالب العلم الشرعي خالصة لله تعالى فُبل منه ونما ببركته، وإن كان المقصود به غير ذلك فقد حبط وضاع، وذلك لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "من طلب العلم ليُمَارِي به السفهاء أو ليُثَاهِي به العلماء أو ليصرف جوه الناس إليه فهو في النار" (7) وموضع الاستدلال من هذا الحديث هو تحوّل طلب العلم إلى وبالأخرى نظراً لاستحضار واحدة من نيات السوء المذكورة في الحديث، ولضمان إخلاص النية لله تعالى عند طالب العلم الشرعي ينبغي مراعاة الآتي:

1. حُسن النية: ويشهد بذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم "إنما الأعمال بالنيات... (8)" وفي الحديث تأكيد على أن تكون النية حسنة في ذاتها ومقصودها، لا تشوبها شائبة، وفي ذلك يذكر يحيى بن أبي كثير "تعلموا النية فإنها أبلغ من العمل" (9) ويضيف ابن جماعة "حُسن

(1) البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف بدء الوحي إلى رسول الله، ج 1، ص 3، برقم 1.

(2) ابن فارس، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج 5، ص 366، دار الفكر، بيروت.

(3) الكاساني، أبو بكر بن مسعود، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ط 2، ج 1، ص 127، دار الكتب العلمية، بيروت.

(4) ابن عابدين، محمد أمين، رد المحتار على الدر المختار (حاشية ابن عابدين) ط 2، ج 1، ص 105، دار الفكر - بيروت.

(5) الحجاوي، موسى بن أحمد، الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق عبد اللطيف السبكي، ص 106، دار المعرفة، بيروت.

(6) الربيع، وليد، إخلاص في طلب العلم، مقال منشور على موقع مجلة الفرقان على الرابط -www.al-

forqan.net/articles/853.html

(7) الألباني، محمد ناصر، صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، ط 36، ج 2، ص 1091، برقم 11328، وحكم عليه الألباني بأنه

حديث صحيح، المكتب الإسلامي، بيروت

(8) سبق تخريجه.

(9) الأصبهاني، أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط 4، ج 3، ص 70، دار الكتاب العربي، بيروت.

النية في طلب العلم بأن يُقصد به وجه الله تعالى والعمل به، وتتویر قلبه وتحلیة باطنه والقرب من الله تعالى يوم القيامة والتعرض لما أعد لأهله من رضوانه وعظیم فضله"⁽¹⁾

2. قصد الآخرة: فلا يستحضر طالب العلم مسببات حبط العمل من مجارة ومدارة ومباهاة ووجاهة ورياسة، قال أبو یوسف "یا قوم أريدوا بعلمكم الله تعالى فإني لم أجلس مجلساً قط انوي فيه أن أتواضع إلا أقم حتى أعلوهم، ولم أجلس مجلساً قط انوي فيه أن أعلوهم إلا لم أقم حتى أفتضح"⁽²⁾.

3. الحذر من الرياء: وهو ضد الإخلاص ومبطل الأعمال، فمن ابتغى الإخلاص في أعماله الظاهرة وهو يفكر في إرضاء الناس فقد فكر في المحال؛ لأن الإخلاص به الحياة والرياء يُمیت الروح والجسد، وتظهر ثمرة الإخلاص عند طالب العلم الشرعي في استواء المدح والذم، ويُضيف الحلیمي "ينبغي لطالب العلم أن يكون تعلمه وللعالم أن يكون تعليمه لوجه الله عز وجل، لا يُريد به المتعلم أن يكتسب بما يتعلمه مالاً، أو يزداد به في الناس جاهاً أو على أقرانه استعلاءً ولا على أصداده إقواءً (إذلالاً) ولا يُريد العالم بتعليمه أن يكثر الآخذون عنه"⁽³⁾

(1) ابن جماعة، محمد إبراهيم، ص35، تذكر السامع والمتعلم والعالم والمتعلم، مكتبة المشكاة الإسلامية.

(2) النووي، يحيى بن شرف، بستان العارفين، ص 8، موقع الشاملة. ابن جماعة، تذكر السامع، ص35.

(3) البيهقي، أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، تحقيق الدكتور عبد العلي حامد، ط1، ج 3، ص267، مكتبة الرشد للنشر، الرياض.

المطلب الثاني: الافتقار إلى الله تعالى.

ويتمثل في استشعار طالب العلم الشرعي بحاجته إلى الله تعالى وتوفيقه ورعايته، فطالب العلم الشرعي خصوصاً ينبغي عليه أن يدرك أن ما هو فيه من هداية واستقامة وإعانة وثبات هو من فضل الله تعالى، وهذا الاستشعار إنما هو أدب عظيم يغفل عنه بعض طلبة العلم، فالله تعالى يقول: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ" (1) وموضع الاستدلال من الآية أن جميع الخلائق مما بلغوا من مراتب عليها فهم إلى الله فقراء ومحتاجون لتوفيقه ورعايته، وطالب العلم الشرعي يبتغي فتح الله عليه كنوز المعرفة ومغاليق العلم، لذا يتوجب عليه أن ينكسر إلى الله تعالى، ولا ينسب لنفسه شيئاً من فهمه وإنجازاته، وهكذا كان السلف الصالح، فشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كان يذهب إلى المسجد ويسجد لله تعالى ويُمِرِّغ وجهه في التراب ويسأل الله ويقول: يا معلم إبراهيم علمني، ويا مفهم سليمان فهمني (2) ، ويتجلى الافتقار إلى الله في التواضع للمشايخ والعلماء، وقد عدَّ الإمام الشافعي الافتقار من مقومات العلم الستة فقال:

أخي لن تتال العلم إلا بستة

سأنبئك عن تفصيلها ببيان

وتلقين أستاذ وطول زمان (3)

ذكاء وحرص وافتقار وغربة

المطلب الثالث: طهارة النفس من رذائل الأخلاق.

لا شط أن العلم بلا طهارة للنفوس يُنتج ضرراً بدلاً من النفع، وهذا ينسحب على العلوم الدنيوية والأخروية، وفي ذلك يقول الإمام الغزالي: "أن يكون قصد المتعلم في الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة (أي فضيلة) العلم وإزالة غشائه الجهل، وفي المال القرب من الله تعالى والترقي إلى جوار الملأ الأعلى من الملائكة والمقربين، ولا يُقصد به الرياسة والمال والجاه وممارسة السفهاء ومباهاة الأقران" (4) .

لذا على طالب العلم الشرعي أن يُقدِّم طهارة النفس على رذائل الأخلاق بين يدي العلم الذي يتعلمه، فالعلم عبادة القلب، وهو قرينة الأطهار إلى الله تعالى، ويُشير لذلك قول الله تعالى: "ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه" (5) ويمكن أن يُستفاد من الآية أن الأخلاق الذميمة والطباع السيئة نقيضة للعلم الشرعي فلا يجتمعان في قلب واحد. وينهى الله تعالى عن ظاهر الإثم وباطنه في قوله تعالى: "وَدَرُّوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنُهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ" (6) وفي الآية جعل الله المعاصي الظاهرة والباطنة سواء في التحريم، والأمر باجتنابهما، وهو ما يستدعي طالب العلم الشرعي البعد عن اقتراف المعاصي صغيرها وكبيرها، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "إني لأحسب العبد ينسى العلم كان يعلمه بالخطيئة يعملها" (7) وقال النووي: "ينبغي أن يطهر قلبه من الأذناس ليصلح لقبول العلم وحفظه واستثماره" (8) وهو ما أثبتته الإمام الشافعي في قوله:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي (9)

(1) سورة غافر آية 15.

(2) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، حقوق آل البيت، تحقيق عبد القادر عطا، ص12، دار الكتب العلمية بيروت .

(3) الشافعي، محمد بن إدريس، ديوان الشافعي.

(4) الغزالي، محمد بن محمد، إحياء عوم الدين، ج1، ص53، دار المعرفة، بيروت.

(5) الترمذي، سنن الترمذي، ج 5، ص348، برقم 3199، وحكم عليه الترمذي بأن حسن، وحكم الألباني عليه بأن ضعيف الإسناد.

(6) سورة الأنعام، آية 120

(7) الخطيب البغدادي، أحمد ، اقتضاء العلم العمل، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ط4، ص96، المكتب الإسلامي - بيروت.

(8) النووي، يحيى بن شرف، المجموع شرح المذهب ((مع تكملة السبكي والمطيعي))، ج1، ص35، دار الفكر، بيروت.

(9) الشافعي، ديوان الشافعي.

المطلب الأول: التواضع.

لقد ضرب القرآن الكريم مثلاً خالداً لطلبة العلم تجلّى فيه التواضع بين طرفي التعلّم، ويتمثل هذا الموقف في قصة موسى عليه السلام (الذي كان طالب علم) مع معلمه الخضر في بضع آيات من سورة الكهف فقال الله تعالى: "وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (60) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (61) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (62) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (63) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّ عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا (64) فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتِنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (65) قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَىٰ أَنْ تُلْمَنَ مِنِّي مِمَّا عَلَّمتِ رُشْدًا (66) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (67) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (68) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (69) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (70) فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (71) (1) حيث تمثل حلق التواضع في طلب العلم الشرعي والأخروي، فهو يقتضي التأدب مع المعلم والزملاء والمناهج والخطط وكل ما يتعلق بالعلم المقصود، ثم وجوب معرفة كل متعلم قدر معلمه، وهو ما استحضره موسى عليه السلام حينما استأذن من الخضر بإتباعه والسير معه، وكذلك التزام موسى عليه السلام بأدب السؤال وتعليمه بالطريقة المثلى في التعامل مع المعلم، وفي التواضع يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم، وتواضعوا لمن تعلمون ولتواضع لكم من تعلمون، ولا تكونوا جبابرة العلماء ولا يقوم علمكم مع جهلكم" (2) وكتب الإمام مالك إلى الخليفة الرشيد "إذا علمت علماً فليُرَ عليك أثره وسكينته وسمته ووقاره وحلمه" (3) وقال الإمام الشافعي: "لا يطلب أحد هذا العلم بالملك وعزّ النفس فيفلح، ولكن من طلبه بذلّ النفس وضيق العيش وخدمة العلماء أفلح" (4).

ويتجسّد التواضع في بُعد طالب العلم الشرعي عن أنفته أن يتعلم من كل الأطراف والجهات والأشخاص حتى ممن هم دونه في المكانة والتخصص والمكانة الاجتماعية والعلمية، بل يقبل العلم قبولاً حسناً ويشكر الله تعالى على ما تعلمه ثم يشكر من علمه شيئاً، ومن التواضع أن يسأل طالب العلم الشرعي عما يغيب عنه من أحكام ومسائل شرعية وغير ذلك، ومن الخطأ الذي يقع فيه بعض طلبة العلم الشرعي استحيائهم من السؤال أو التكبر عن ذلك، وقد روي عن مجاهد قوله: "لا يتعلم مستحي أو مستكبر" (5)، فالله عز وجل يحبّ العالم المتواضع ويبغض العالم الجبار.

المطلب الثاني: كثرة المطالعة وتنوع مصادر التلقّي .

لقد كان من أخلاق سلفنا الصالح المداومة على المذاكرة للعلم الذي يتعلموه، ذكر الإمام الشافعي: "طلب العلم أفضل من صلاة النافلة" (6)، وهذا الآثار استتبطها أصحابها من قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "فضل العلم أحب إليّ من فضل العبادة وخير دينكم الورع" (7) ومما يُجدر الإشارة إليه أن الحث على المطالعة والقراءة المتواصلة في التخصص وحضور مجالس العلم لا يُغني عن الشيخ أ الأستاذ؛ لأن من كان شيخه كتابه كان خطؤه أكثر من صوابه، وإنما المقصود هنا الزيادة على ما يشرحه الأستاذ، لذا ينبغي على طالب العلم الشرعي تحديداً

(1) سورة الكهف، الآيات 60-71.

(2) وكيع بن الجراح، الزهد، تحقيق عبد الرحمن الفيرواني، ط1، ص538، مكتبة الدار، المدينة المنورة .

(3) ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم، ص11.

(4) المصدر السابق، ص36.

(5) المصدر السابق، ص57.

(6) القليوبي، أحمد، حاشية قليوبي على شرح جلال الدين المحلي على منهاج الطالبين، تحقيق مكتب البحوث والدراسات، ج4، ص215،

دار الفكر، بيروت

(7) الحاكم، محمد، المستدرک على الصحيحين، تحقيق مصطفى عطا، ط1، ج1، ص92، برقم 314، دار الكتب العلمية - بيروت.

أن تكون له خطة مدروسة وواقعية للمطالعة والمذاكرة ومراجعة المعلومات ، ومن الثابت واقعياً أن المحاضرات الجامعية إنما تملك الطالب مفاتيح العلم، وهو ما يستدعي من طالب العلم اشاعي تكوين البيئة العلمية الخاصة به من حيث المكتبة الشخصية البرنامج الإثرائي له.

وبالنظر لحال العرب مع المطالعة الذاتية نجد ما يُدمي القلب، حيث ذكرت نتائج خلصت إليها لجنة تتابع شؤون النشر تابعة للمجلس الأعلى للثقافة في مصر أن العالم العربي يقف في ذيل قائمة الأمم القارئة، ذلك أن متوسط معدل القراءة فيه لا يتعدى ربع صفحة للفرد سنوياً، بينما جاءت الولايات المتحدة في المرتبة الأولى، وبيّنت الدراسة أن متوسط القراءة عربياً ربع صفحة للفرد سنوياً، بينما تصل معدلات القراءة في أميركا إلى 11 كتاباً للفرد سنوياً وفي بريطانيا إلى سبعة كتب، ما يظهر مدى التدنّي الذي وصلت له معدلات القراءة في الوطن العربي وفقاً لأحدث الدراسات التي تتبناها اللجنة لقياس مجال الإقبال على القراءة"، والدراسة التي قامت بها اللجنة تشير إلى نتائج مماثلة خلصت إليها منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (يونسكو) أوضحت أن نصيب كل مليون عربي لا يتجاوز ثلاثين كتاباً، مقابل 854 كتاباً لكل مليون أوروبي، أي أن معدل قراءة الشخص العربي ربع صفحة في السنة مقابل معدل قراءة كبير للفرد الأميركي الذي يصل إلى 11 كتاباً في العام الواحد. (1)

وبحسب "تقرير التنمية البشرية" للعام 2003 الصادر عن اليونسكو، يقرأ المواطن العربي أقل من كتاب بكثير، فكل 80 شخصاً يقرؤون كتاباً واحداً في السنة. في المقابل، يقرأ المواطن الأوروبي نحو 35 كتاباً في السنة، والمواطن الإسرائيلي 40 كتاباً، وجاء في "تقرير التنمية الثقافية" للعام 2011 الصادر عن "مؤسسة الفكر العربي" أن العربي يقرأ بمعدل 6 دقائق سنوياً بينما يقرأ الأوروبي بمعدل 200 ساعة سنوياً، وفي دراسة أجرتها شركة سينوفات المتعددة الجنسيات لأبحاث السوق، عام 2008، جاء أن المصريين والمغاربة يقضون أربعين دقيقة يومياً في قراءة الصحف والمجلات مقابل 35 دقيقة في تونس و34 دقيقة في السعودية و31 دقيقة في لبنان. وفي مجال قراءة الكتب، يقرأ اللبنانيون 588 دقيقة في الشهر، وفي مصر 540 دقيقة، وفي المغرب 506 دقائق، وفي السعودية 378 دقيقة. هذه الأرقام تعكس واقعاً إيجابياً أكثر من الأرقام السابقة. ينتج هذا الاختلاف من كون الأرقام الأخيرة تشمل قراءة القرآن الكريم. أما الأرقام السابقة فلا تحسب إلا قراءة الكتب الثقافية وتتغاضى عن قراءة الصحف والمجلات، والكتب الدراسية، وملفات العمل والتقارير، وكتب التسلية. (2)

ومما يجدر الإشارة إليه أن المعلومة الشرعية لا تنحصر في الكتاب المقرر أو المحاضرة الجامعية وإنما تتعدى مجالاتها ومصادرها لتشمل المحاضرات المباشرة والمرفوعة على شبكة الانترنت والتسجيلات المخزّنة على الأقراص المدمجة، فهذه الوسائل التكنولوجية تساعد طالب العلم الشرعي ليعود مصادر التلقّي الموثوقة، يُضاف لذلك الفضائيات العلمية التي يزخر بها الفضاء الإعلامي، ففيها خير كثير ممكن أن يعوّض النقص والضعف في الأداء الجامعي، ومن الأسباب الفعلية وراء هذه المعدلات المخيفة:

1. قصور مناهج التعليم والتربية في الوطن العربي .
2. عدم تغييري أساليب تنمية مهارات القراءة في المرحلة الابتدائية والثانوية فالجامعية .
3. عدم تشجيع أفراد الأسرة الطفل على القراءة والتفكير منذ الصغر .
4. منافسة وسائل الإعلام المختلفة للكتاب وخاصة الفضائيات والإذاعات .
5. غياب مفهوم التعليم والتثقيف الذاتي عند أفراد المجتمع .
6. حالة الإحباط واليأس التي يعيشها الإنسان في المجتمع العربي والإسلامي.
7. الغزو الثقافي الغربي وترويج ثقافة اللامبالاة والأنانية.

[http://www.aljazeera.net/news/cultureandart/2015/5/18/\(1\)](http://www.aljazeera.net/news/cultureandart/2015/5/18/(1))

[raseef22.com/culture/2015/04/23/reading-habits-in-the-arab-world\(2\)](http://raseef22.com/culture/2015/04/23/reading-habits-in-the-arab-world(2)) مقال كم يقرأ العرب وماذا يقرؤون؟

8. غياب الروح التشجيعية لدى المؤسسات الثقافية.

9. قلة الدعم المالي لإنشاء المكتبات العامة ودعم الكتاب ليصبح رخيص الثمن وفي متناول الجميع.

10. عدم اهتمام الدول بالكتاب وأعمالهم، ومكافأتهم على أعمالهم المتميزة كما تفعل الدول الأخرى.

11. اتباع بعض الدول سياسة فرض التخلف التعليمي على شعوبهم للسيطرة عليهم والتحكم في رغباتهم. (1)

المطلب الثالث: الصبر على العلم.

يُعتبر العلم الشرعي من أشرف النعم التي يُنعم الله بها على بعض عباده، فهو أعلى المراتب والمنازل؛ كونه ميراث الأنبياء ومهنة الصالحين من السلف الصالح، وهو الطريق الموصل للجنة لقول الرسول صلى الله عليه وسلم " من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله به طريقاً إلى الجنة" (2) وبذلك فإن سلوك هذا الطريق بصفة عامة صعب، وإن تحصيل الآخرة لا يحصل المرء عليه إلا بالسعي الحثيث، ويؤكد على ذلك أبو هريرة رضي الله عنه بقوله: "ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة" (3) وروى في ذلك مسلم في صحيحه عن يحيى بن أبي كثير قوله " لا يُستطاع العلم براحة الجسم" (4) وقال ابن القيم "وأما سعادة العلم فلا يورثك إياها إلا بذل الوسع وصدق الطلب وصحة النية" (5) وسئل ابن عباس رضي الله عنهما بم أدركت العلم؟ قال: "بلسان سؤال وقلب عقول وبدن غير ملول" (6) ، وضرب الإمام أحمد بن حنبل مثلاً في المصابرة لم سُئل إلى متى تستمر في طلب العلم وقد أصبحت إماماً للمسلمين؟ قال: مع المحبرة إلى المقبرة" (7) .

ومن خلال ما سبق من نقول عن السلف أصبح لزاماً على طالب العلم الشرعي - تحديداً- الصبر والمصابرة على مشقة طلب العلم وتحصيله، وذلك لكون مطلوبة يتمثل في العلم الرباني الشرعي الذي يتطلب حضور الذهن والنية الصالحة والإخلاص الصافي والمثابرة والملاحظة الدقيقة والالتزام بحضور رياض الجنة - مجالس العلم- .

المطلب الرابع: حضور المجالس العلمية.

لا شك لدى الباحث - والله أعلم- أن النظام التعليمي العالي الذي يعتمد المحاضرات الأسبوعية في كليات الشريعة تعتبر من مجالس العلم، ويجري عليها ما يجري على حلقات العلم في المساجد الذي جاءت بذكرها الأحاديث النبوية، وذلك من حيث الأجر والثواب والالتزام بأدابها وآداب شيخها أو معلمها، وبالتالي فإن طالب العلم الشرعي في كليات الشريعة في الجامعات المعاصرة مأجور بالحضور، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي ذر الغفاري رضي الله عنه: "يا أبا ذر لأن تغدوا فتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تُصلي مائة ركعة، ولأن تغدوا فتعلم باباً من العلم عُمل به أو لم يُعمل خير لك من أن تُصلي ألف ركعة" (8) وموضع الشاهد من هذا الحديث بيان فضل العلم على

(1) الأغا، ناصر جاسر، دراسة واقع القراءة في الوطن العربي، خانيونس، على الرابط

http://www.qou.edu/arabic/publicRelation/yanabi3/no_3/sub_20.pdf

(2) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب الاجتماع على العلم، ج 8، ص 71، برقم 7028.

(3) الترمذي، سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب صفة أواني الحوض، ج 4، ص 633، برقم 2450، وحكم عليه الألباني بأنه حديث صحيح.

(4) مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب أوقات الصلوات، ج 2، ص 105، برقم 1421.

(5) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مفتاح دار السعادة ومنتشور ولاية العلم والإرادة، ص 108، دار الكتب العلمية، بيروت .

(6) لم أجد إلا في هذا المرجع. ابن عثيمين، محمد بن صالح، مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع

وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، ج 26، ص 147، طبعة 1413 هـ، دار الوطن، دار الثريا.

(7) ابن الجوزي، عبد الرحمن، تلبيس إبليس، ط 1، ص 292، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.

(8) ابن ماجه، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه، ج 1، ص 79، برقم 219، وحكم عليه الألباني بأنه ضعيف، دار الفكر، بيروت.

العبادة، وذلك لاستعمال لفظ (لأن تغدو) أي تذهب، ولكون العلم الشرعي له مواطن منها المسجد والمدرسة والجامعة، وإن ذهب الطالب لكليات الشريعة ليتعلم أحكام دينه يندرج تحت هذا الفضل، ويتحصّل له الأجر والثواب، وأحاديث الذكر والاجتماع لمدارسة العلم الشرعي أكثر من تُحصى في هذا المقام ومنها قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجل لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء أن قوموا مغفوراً لكم قد بُدلت سيئاتكم حسنات"⁽¹⁾ وفي هذا الحديث لم يخص الرسول صلى الله عليه وسلم الجلوس والتعلّم في المسجد دون غيره من الأماكن، وبالتالي تندرج كليات الشريعة تحت هذا الحديث، وقد مرّ أعرابياً على ابن مسعود رضي الله عنه وهو يعلم طلابه ويُحدّثهم فقال الأعرابي: علام اجتمعوا هؤلاء؟ فقال ابن مسعود: على ميراث محمد صلى الله عليه وسلم يقتسمونه بينهم"⁽²⁾.

وتتعدى مجالات مجالس العلم التي يؤجر المرء بحضورها لتشمل الدروس في المساجد والمراكز الثقافية وخطب الجمعة والمحاضرات الأكاديمية النافعة، وتشمل كذلك المناقشات العلمية للرسائل الجامعية (الماجستير والدكتوراة ومشاريع التخرّج) وبحضورها يستفيد الطالب الملكة اللازمة للمناقشات في حياته العلمية والمهنية، وكذا حضور المؤتمرات العلمية الشرعية وعرض الأوراق العلمية، وتُمكن طالب كليات الشريعة الاندماج في الأوساط العلمية والخُطة بالأساتذة والعلماء من شتى الجامعات، وفي الدورات العلمية المنهجية التي تعقدتها كليات الشريعة ووزارة الأوقاف، وما سبق من مجالس علم قد تكون على العالم الافتراضي من خلا شبكة الانترنت، خصوصاً بعد الثورة التكنولوجية الهائلة التي يستوجب على طلبة كليات الشريعة الاستفادة منها.

المطلب الخامس: مواكبة العلوم المستجدة.

إن الدارس والمتتبع للتطور الذي يرافق النقلات النوعية في العلم الشرعي والبحث الفقهي يلمس بالملاحظة التطور المستمر والقفزات النوعية في العلوم المرتبطة بشكل وثيق بالبحث الفقهي المعاصر، ولا شك لدى الطالب والعالم في العلم الشرعي بأن النصوص الشرعية متناهية بينما المستجدات الاقتصادية والطبية والعلمية غير متناهية، لذا يستوجب على طلبة العلم الشرعي وأهله الإحاطة والعلم بكل جزئية من هذه المستجدات التي تستلزم اجتهاداً فقهياً، فكان الاجتهاد المعاصر والمجامع الفقهية المعاصرة هي المخرج من هذا التقوقع الذي اكتنف بعض العلماء في السنوات الماضية، فاتجه علماء الشريعة وطلبتها نحو التكامل بين علماء الشريعة من جهة وبين علماء النازلة من حيث تخصصهم، فإذا عُرضت على علماء الشريعة مسألة اقتصادية أو طبية توقفوا في الحكم عليها حتى يتصوّروا الرأي الاقتصادي أو الطبي أو العلمي من أهل الاختصاص؛ لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوّره، فمن الخطأ الفادح الذي يقع فيه بعض طلبة الشريعة الحكم على مسألة لم يتصوّرها ولم يُحط بها علماً من أهل الاختصاص، فالحكم على المعاملة الاقتصادية المعاصرة والحكم على عمل المصارف الإسلامية يستوجب الاستعانة بأهل الاقتصاد والمحاسبة وذوي الخبرة المالية، وكذلك الحكم على مسألة طبية معاصرة يقتضي الاستماع إلى أهل الطب، وكذا المسائل الفلكية والقانونية، وقد اعتبر بعض العلماء أن هناك ثلاثة علوم ضرورية لطلبة العلم الشرعي وأهله وهي:

1. علم النفس الإسلامي للتعرف على الطبيعة الإنسانية كما خلقها الله تعالى.

2. علم التربية الإسلامية للتعرف على النظرة الإسلامية للإنسان والمعرفة والأخلاق والمجتمع.

3. مناهج البحث العلمي الذي يستخدمها في حياته العلمية والبحثية.⁽³⁾

(1) أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، الأحاديث مذيبة بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها، ج2، ص142، برقم 12467، وحكم عليه شعيب الأرنؤوط بأن الحديث صحيح لغيره، مؤسسة قرطبة، القاهرة .

(2) الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، شرف أصحاب الحديث، تحقيق محمد خطي اوغلي، ص45، دار إحياء السنة النبوية، أنقرة .

(3) النقيب، عبد الرحمن، الثقافة التربوية لطلبة علوم الشريعة في جامعة الأزهر، دراسة حالة، بحث مقدّم لمؤتمر علوم الشريعة في الجامعات، ج2، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ص307.

المطلب الأول: التزام الأدب التام مع الشيوخ والعلماء .

إن من الحقوق المستحقة لأهل العلم النافع المفيد عامة وأهل العلم الشرعي خاصة يكمن في احترامهم وتقديرهم لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: " ليس منا من لم يُجَلِّ كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه"⁽¹⁾ ويقول طاووس بن كيسان: " من السنة أو يُوقَّر أربعة: العالم وذو الشيبة والسلطان والوالد، هذا من سنة نبيكم"⁽²⁾ ولعل المقصود باحترام ذي الشيبة والسلطان يكمن في المؤمن منهم ، والملتزم بأحكام القرآن الكريم والسنة النبوية، والجدير ذكره أن من أهم مظاهر احترام العلماء السكينة والوقار في مجالس العلم والذكر، والمبادر لمساعدة العلماء قدر الإمكان في المجال العلمي الأكاديمي والاجتماعي كذلك، وأن يتقبل طالب العلم الشرعي تحديداً الأسلوب التربوي الذي يستخدمه أستاذه، وفي ذلك يقول عبد الرحمن بن مهدي: " كان الرجل من أهل العلم إذا لقي من هو فوقه في العلم فهو يوم غنيمته، سأله وتعلم منه، وإذا لقي من هو دونه في العلم علمه وتواضع له، وإذا لقي من ه مثله في اعلم ذاكره ودارسه"⁽³⁾ .

ولعل من الضروري محاولة التوفيق بين هذه النظرة التقديرية للمعلم من قبل طلبته وبين مقولة ابن عساكر الشهيرة في التحذير من النيل من العلماء وانتقادهم والاعتراض عليهم وردّ أقوالهم، فقد ذكر ابن عساكر في واحد من كتبه" واعلم يا أخي وفقنا الله وإياك لمرضاته ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته إن لحوم العلماء رحمة الله عليهم مسمومة وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة لأن الوقيعة فيهم بما هم منه براء أمره عظيم والتناول لأعراضهم بالزور والافتراء مرتع وخيم والاختلاق على من اختاره الله منهم لنعش العلم خلق ذميم والافتداء بما مدح الله به قول المتبعين من الاستغفار لمن سبقهم وصف كريم"⁽⁴⁾فهذا القول على جلالته وبلاغته فإنه ينحصر في العلماء الريانيين الذين يتبعون القرآن الكريم، ويعملون بما فيه، ولا يخافون في الله لومة لائم، أما وقد ابتليت الأمة بعلماء سوء، يعرفون الحق ويحيدون عنه مرضاة للظالم، فهؤلاء ليسوا ممن عناهم ابن عساكر، بل الواجب التحذير منهم بكل وسيلة متاحة، ليحذر الناس من شرهم وضلالاتهم، فالواجب التروّي قبل تخطنه العالم والاعتراض على قوله، والإحاطة بالمسألة مدار البحث والنقاش.

المطلب الثاني: التعاون مع الزملاء والأقران.

ينبغي الإشارة إلى أن احترام المعلم لزملائه يوتّق عرى المحبة ويقوّي أواصر العلاقة الطيبة، وهو ما يعود على المتعلم وزملائه فنذكر ابن جماعة صوراً من احترام المتعلم لزملائه فقال: " أن يتأدّب مع حاضري مجلس الشيخ فإنه أدب معه، واحترام لمجلسه وهم رفاؤه، فيوقّر أصحابه، ويحترم كبراءه وأقرانه، ولا يجلس وسط الحلقة ولا قدام أحد إلا لضرورة كما في مجالس الحديث، ولا يفرّق بين رفيقين، ولا بين متصاحبين إلا بإذنهما معاً، ولا فوق من هو أولى منه، وينبغي للحاضرين إذا جاء القادم أن يرحبوا به ويوسّعوا له ويتوسّعوا لأجله، ويكرموا بما يُكرم به مثله، وإذا فُسح له في المجلس وكان حرجاً ضمّ نفسه ولا يتوسّع"⁽⁵⁾ .

ومن احترام الزملاء أن يقدّم كبير السن حين الدخول لقاعة التدريس أو أي مجلس علم، يقول السمعاني: " إذا حضر جماعة من الطلبة وأذن لهم في الدخول على المُلمي فينبغي أن يقدموا أسنّهم ويُدخلوه أمامهم؛ فإن ذلك من السنة"⁽⁶⁾، ومن احترام الزملاء ألا يقطع كلامهم أثناء الدرس أو يظهر عدم الاهتمام؛ لأن ذلك مدعاة للتباغض والضغينة، وألاً يزاحم زملاءه على الأستاذ ولا يقطع حديث زميل له مع آخر إلا بإذنه، عن ابن عمر قال جاء رجلان إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم أحدهما من الأنصار والآخر من تقيف فسبقه الأنصاري فقال

(1) الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج 1، ص 211، برقم 421، وعلق الذهبي بأن مالك ثقة مصري .

(2)السمعاني، عبد الرزاق، المصنف ، تحقيق حبيب الأعظمي، ط2، ج 11، ص 137، برقم 20133،المكتب الإسلامي، بيروت.

(3)الرامهرمزي، الحسن بن عبد الرحمن، المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، ط3، ص 206، دار الفكر، بيروت.

(4)ابن عساكر، علي ، تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، ط3، ص29،دار الكتاب العربي، بيروت.

(5) ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم والعالم والمتعلم،ص232.

(6) السمعاني، عبد الكريم، أدب الإملاء والاستملاء، شرح ومراجعة سعيد محمد اللحام، ط1، ص137، دار ومكتبه الهلال ، بيروت .

النبى صلى الله عليه و سلم للتقفي يا أبا ثقيف سبقك الأنصاري فقال الأنصاري أنا أؤدنه يا رسول الله فقال النبى صلى الله عليه و سلم يا أبا ثقيف سل عن حاجتك وإن شئت أنا أخبرتك بما جئت⁽¹⁾، ويقول الزرنوجي في بيان الشراكة العلمية بين الزملاء: "ومن تعظيم العلم تعظيم الشركاء في طلب العلم والدرس ومن يتعلم منه، و التملق مذموم إلا في طلب العلم فإنه ينبغي له التملق لأستاذه وشركائه ليستفيد منهم"⁽²⁾ ومن احترام الزملاء والأقران أيضا ستر العورات والعفو عن الزلات، يقول ابن جماعة في ذلك: "أن يلزم أهل المدرسة بإفشاء السلام وإظهار المودة والاحترام، ويرعى لهم حق الجيرة والصحبة والأخوة في الدين والحرفة لأنهم أهل العلم وحملته وطلابه، ويتغافل عن تقصيرهم ويغفر زللهم ويستتر عوراتهم ويشكر محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم"⁽³⁾.

وإن هذه العلاقة الطيبة تقود حتماً للتعاون بين زملاء العلم، وتُرسخ النصيحة بينهم، وفي ذلك يقول الإمام النووي: "وينبغي أن يرشد رفقة وغيرهم من الطلبة إلى مواطن الاشتغال والفائدة ويذكر لهم ما استفادته على جهة النصيحة والذاكرة، وإرشادهم يُبارك له في علمه ويستتير قلبه وتتأكد المسائل معه مع جزيل ثواب الله عز وجل، ومن بخل بذلك كان بضده فلا يثبت معه، وإن ثبت معه لم يثمر، ولا يحسد أحداً ولا يحتقره ولا يعجب بفهمه"⁽⁴⁾ لأهمية التعاون في طلب العلم بوب الإمام البخاري ذلك في كتاب العلم من صحيحه بعنوان (التناوب في طلب العلم) وذكر حال عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلي قال "كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد - من عوالي المدينة - وكنا نتناوب النزول على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ينزل يوماً وأنزل يوماً، فإذا نزلت جنته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك"⁽⁵⁾ وفي شرح هذا الحديث قال ابن حجر العسقلاني: "وفيه أن الطالب لا يغفل عن النظر في أمر معاشه ليستعين على طلب العلم وغيره، مع أخذه بالحزم في السؤال عما يفوته يوم غيبته، لما عُلم من حال عمر أنه كان يتعانى التجارة إذ ذاك"⁽⁶⁾.

المطلب الثالث: اختيار الصداقة الطيبة.

حث الإسلام على اختيار الصحبة الصالحة، وأكد على الارتباط بأصدقاء الخير، الذين يمتازون بتقديم النصيحة والمشورة الصالحة، ويبن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: "مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكبير الحداد لا يعدمك من صاحب المسك إما تشتريه أو تجد ريحه وكبير الحداد يحرق بدنك أو ثوبك أو تجد منه ريحاً خبيثة"⁽⁷⁾، ويؤكد ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: "المؤمن مرآة أخيه، والمؤمن أخو المؤمن، يكف عن ضيعته ويحوطه من ورائه"⁽⁸⁾ وهنا تتجلى أهمية الصحبة العلمية الصالحة في المجال العلمي والأكاديمي، وما لها من تأثير إيجابي يحرك النفس نحو المنافسة النظيفة في العلم الشرعي والبحث، وفي ذلك يقول الدكتور بكر أبو زيد: "كما أن العرق دساس فإن أدب السوء دساس، إذ الطبيعة نقال، والطباع سراقية، والناس كأسراب القطا مجبولون على تشبه بعضهم ببعض، فاحذر معاش من كان كذلك، فإنه العطب والدفع أسهل من الرفع"⁽⁹⁾ ونظراً لأهمية الصحبة الصالحة ذكر ذلك

(1) عبد الزاق، المصنف، ج5، ص15، برقم 8830، الطبراني.

(2) الزرنوجي، برهان الإسلام، تعليم المتعلم طريق التعلم، ط1، ص31، المكتبة السودانية، السودان.

(3) ابن جماعة، تنكرة السامع والمتكلم والعالم والمتعلم ص 266.

(4) النووي، المجموع، ج1، ص39.

(5) رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب التناوب على العلم، ج1، ص46، برقم 89.

(6) ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج1، ص186، دار المعرفة، بيروت.

(7) رواه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع، ج2، ص741، برقم 1995. ورواه مسلم في

صحيحه، كتاب البر والصلة الأدب، باب استحباب مجالسة الصالحين، ج8، ص37، برقم 6860.

(8) أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب النصيحة والحيطة للمسلم، ج2، ص296، برقم 4918، قال الألباني بأنه حسن.

(9) أبو زيد، بكر بن عبد الله، حلية طالب العلم، ط1، ص23، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض.

ابن جماعة بقوله: " أن يختار أصلحهم حالاً وأكثرهم اشتغالاً، وأجودهم طبعاً وأصونهم عرضاً، ليكون معيناً له على ما هو بصدده"⁽¹⁾ وينبغي لطالب العلم الشرعي أن يختار أصدقاءه بناءً على عدة صفات منها (2) :

1. الدينُ مُحسنُ الخُلُق: حيث يقول ابن جماعة في ذلك: " فليكن صاحباً صالحاً ديناً تقياً ورعاً نكياً كثير الخير قليل الشر حسن المداراة قليل المماراة، إن نسي ذكركه وإن ذكر أعانه، وإن احتاج وإسأه وإن ضجر صبره"⁽³⁾.
2. علو الهمة في طلب العلم: لأن ذلك سيكون دافعاً للتأثر به والاجتهاد في الطلب، يقول في ذلك الزرنوجي: " فينبغي أن يختار المُجدِّ الورع وصاحب الطبع المستقيم، والمتفهم، ويفرّ من الكسلان والمعطل والمكثار والمفسد والفتان"⁽⁴⁾ .
3. من صفاته الفسيولوجية التي تديم المحبة والعلاقة بشاشة الوجه ، ولطف اللسان ، وسعة القلب ، وبسط اليد ، وكظم الغيظ ، وترك الكبر .

ومما ينبغي التنبيه له عدم التقليل من شأن صداقات الطالب في بيئته العلمية الأكاديمية، لأنها يمكن أن تساعد أو تعيقه أكاديمياً واجتماعياً، ووفقاً لدراسة دارتموث "أصدقاء مع فوائد أكاديمية"، التي نشرت في مجلة (Context) ، وفي مقال جانيس مكابي -أستاذ مشارك في علم الاجتماع في جامعة دارتموث بعنوان "كيف تؤثر الشبكات الاجتماعية على النجاح الاجتماعي و الأكاديمي" اختبرت الدراسات السابقة أهمية دور الأقران في حياة الطالب وغالباً ما كانت تركز على تأثير الصداقات الاجتماعي، وقد قام البحث على التحليل والتحديد النظري لشبكات تتكون من 67 طالباً في إحدى جامعات الغرب الأوسط التي يغلب فيها العرق الأبيض، وذلك بالنظر إلى الدور الذي تلعبه الصداقات في حياة الطالب وكثافة العلاقات التي يكونها الطالب مع الأصدقاء، تجد مكابي أن صداقات الطالب يمكن تصنيفها إلى ثلاثة أنواع من الشبكات إما أن يكون الطلاب مجموعات مقاربة حيث جميع أفرادها يعرفون بعضهم البعض تقريباً وشبكتهم تشبه كرة من الخيط، أو عينات تتكون من مجموعة مستقلة لا تعتمد على الأصدقاء للشعور بالانتماء ومعزولة اجتماعياً. لكنها ناجحة أكاديمياً دون مساعدة من أصدقائهم أو مجموعات متباعدة يملكون حوالي 2-4 مجموعات من الأصدقاء الذين لا يعرفون بعضهم بعضاً، وشبكتهم تشبه ربطة العنق. يمتلك الأشخاص من هذه المجموعة صديق أو أكثر للدراسة وآخرون للهو والترويح عن الذات مع توازن جيد بين كلا النوعين، وخلصت دراسة مكابي أن نوع الصداقة التي كونها الطلاب أثناء الدراسة الجامعية هو نفسه بعد التخرج منها، وأن صداقات الجامعة التي تقدم روابط أكاديمية واجتماعية قوية هي الأكثر ديمومة.⁽⁵⁾

(1) ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم والعالم والمتعلم، ص 69.

(2) علي عبد الحميد أحمد، التحصيل الدراسي وعلاقته بالقيم الإسلامية التربوية، ص 221، مكتبة حسن العصرية، بيروت، لبنان.

(3) ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم والعالم والمتعلم، ص 79.

(4) الزرنوجي، تعليم المتعلم طريق التعلم، ص 50.

(5) مجلة نون العلمية على الرابط <http://n-scientific.org/10321>

أحمد الله تعالى أن وفقني لإتمام هذا العلم، وأسأل الله تعالى أن يكون في ميزان حسناتنا يوم القيامة، وبعد خوض غمار هذا الموضوع لأهميته يجد ربي إظهار أهم النتائج التي توصلت إليها ومنها:

1. إخلاص النية لله تعالى أساس قبول كل عمل، وبالتالي فهي منطلق أساسي لطلبة كليات الشريعة.
2. ينبغي الاستشعار الدائم بالافتقار لله تعالى طوال حياة طلبة العلم وعدم الاغترار بالنجاحات.
3. لا يجتمع العلم الشرعي المؤثر مع النفوس الخبيثة.
4. التواضع لدى طلبة كليات الشريعة دافعاً لاحترام الناس وتقديرهم.
5. لا بدّ لطالب كلية الشريعة من برنامج مطالعة وخطة منهجية للكتب النافعة والمتخصصة.
6. صبر طالب العلم وتصبره على مشقة العلم يوصله لمراده بعون الله تعالى.
7. لا يمكن لطالب العلم الشرعي القدرة على الإفتاء بأية مسألة معاصرة دون الرجوع للعلوم المستجدة.
8. تظهر ثمرة العلم الشرعي في التزام الأدب مع الشيوخ والزملاء واختيار الأصدقاء الصالحين.

ويوصي الباحث بمايلي:

1. مواصلة البحث في السمات المنشودة لطلبة كليات الشريعة.
2. وضع خطط واقعية لتعزيز القيم التربوية الإسلامية لدى طلبة كليات الشريعة.
3. طرح مساقات حول الشخصية المطلوبة من كليات الشريعة.
4. التعاون والتواصل مع وزارة الأوقاف ووزارة التربية لتقييم أداء خريجي كليات الشريعة والوقوف على الاحتياجات العلمية والتدريبية لهم، ومعالجة الخلل إن وجد.

والله الموفق والهادي سواء السبيل

المراجع والمصادر

القرآن الكريم

- البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح ، تحقيق مصطفى ديب البغا، ط3، دار ابن كثير ، اليمامة - بيروت.
- مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ،دار الجيل بيروت و دار الأفاق الجديدة . بيروت
- الترمذي ، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- أبو داود، سنن أبي داود، دار الكتاب العربي . بيروت
- ابن فارس، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة،تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت.
- الكاساني، أبو بكر بن مسعود، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ط2،دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن عابدين، محمد أمين ، رد المحتار على الدر المختار (حاشية ابن عابدين) ط2، دار الفكر -بيروت.
- الحجاوي، موسى بن أحمد ،الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق عبد اللطيف السبكي، دار المعرفة، بيروت .
- الربيع، وليد، الإخلاص في طلب العلم، مقال منشور على موقع مجلة الفرقان
- الألباني، محمد ناصر، صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، ط36، المكتب الإسلامي ، بيروت
- الأصبهاني، أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط4، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ابن جماعة، محمد إبراهيم، تذكر السامع والمتعلم والعالم والمتعلم، مكتبة المشكاة الإسلامية.
- النووي، يحيى بن شرف، بستان العارفين، موقع الشاملة.ابن جماعة.
- البيهقي، أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، تحقيق الدكتور عبد العلي حامد، ط1، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ، الرياض .
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم،حقوق آل البيت، تحقيق عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت .
- الغزالي، محمد بن محمد، إحياء عوم الدين، دار المعرفة، بيروت.
- الخطيب البغدادي، أحمد ، اقتضاء العلم العمل، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ط4، المكتب الإسلامي - بيروت.
- النووي، يحيى بن شرف، المجموع شرح المذهب ((مع تكملة السبكي والمطيعي))، دار الفكر، بيروت.
- وكيع بن الجراح، الزهد، تحقيق عبد الرحمن الفريوائي، ط1، مكتبة الدار، المدينة المنورة .
- القليوبي، أحمد ، حاشية قليوبي على شرح جلال الدين المحلي على منهاج الطالبين، تحقيق مكتب البحوث ، دار الفكر، بيروت
- الحاكم، محمد، المستدرک على الصحيحین،تحقيق مصطفى عطا، ط1، دار الكتب العلمية - بيروت.
- الآغا، ناصر جاسر، دراسة واقع القراءة في الوطن العربي، خانيونس، على الرابط <http://www.qou.edu/arabic/>
- ابن القيم ،محمد بن أبي بكر ، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- ابن عثيمين، محمد بن صالح ، مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب : فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان ، طبعة 1413 هـ، دار الوطن، دار الثريا.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن، تلبیس إبليس، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.
- ابن ماجه، محمد بن يزيد ، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.
- أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها، مؤسسة قرطبة، القاهرة .
- الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، شرف أصحاب الحديث ،تحقيق محمد خطي اوغلي، دار إحياء السنة النبوية ، أنقرة .
- النقيب، عبد الرحمن، الثقافة التربوية لطلبة علوم الشريعة في جامعة الأزهر، دراسة حالة، بحث مقدم لمؤتمر علوم الشريعة في الجامعات، ج2، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
- الصنعاني، عبد الرزاق، مصنف عبد الرزاق، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت.
- الرامهرمزي، الحسن بن عبد الرحمن، المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، ط3، دار الفكر، بيروت.
- ابن عساكر، علي بن الحسن، تبیین كذب المفتری فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت.

- السمعاني، عبد الكريم، أدب الإملاء والاستملاء، شرح ومراجعة سعيد مجمد اللحام، ط1، دار ومكتبة الهلال ، بيروت .
- الزرنوجي، برهان الإسلام، تعليم المتعلم طريق التعلّم، ط1، المكتبة السودانية، السودان.
- ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت.
- أبو زيد، بكر بن عبد الله، حلية طالب العلم، ط1، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض.
- علي عبد الحميد أحمد، التحصيل الدراسي وعلاقته بالقيم الإسلامية التربوية، مكتبة حسن العصرية، بيروت، لبنان.
- مجلة نون العلمية على الرابط <http://n-scientific.org/10321>